«رجعوا التلامذة للجدّ تاني»

حسن مدن

أبناء جيلنا، أو على الأقلّ، من مرّوا بالتجارب نفسها التي مررْنا فيها، يتذكّرون أغنية الشيخ إمام، التي كتب كلماتها أحمد فؤاد نجم: «رجعوا التلامذة للجدّ تاني». كُتبت كلماتها وغُنّيت في أجواء التحرّك الطلابي الذي عمّ الجامعات المصرية، وامتدّ أثره إلى الأوساط الطلابية في بلدان عربية أخرى، بعد هزيمة 5 حزيران (1967)، مطالباً بالثأر من العدوّ الصهيوني، وردّ الكرامة الوطنية والقومية.

نعود اليوم إلى كلمات هذه الأغنية، على خلفيّة التحرّكات الطلابية، التي تعمّ الجامعات في البلدان الغربية، بما فيها الولايات المتّحدة، الداعم الأكبر لإسرائيل في عدوانها البربري على قطاع غزّة، والذي يشمل الضفة الغربية أيضاً. ومع أنّ الأغنية انطلقت من الواقع المصري الملموس يومها، لكنّ العودة إليها سترينا أنّها تلامس التحرّكات الطلابية المُناصرة للحقّ الفلسطيني والمُنَدّدة بالعدوان الإسرائيلي، وهي التحرّكات التي كان لها أكبر الأثر في تشكّل رأي عام غربي، وعالمي، جديدَين، ويمكن القطع، أيضاً، بأنّه غير مسبوق في التضامن مع فلسطين، من ثماره أنّ عدداً متزايداً من الدول الغربية، وغير الغربية، أيضاً، أعلنت اعترافها بالدولة الفلسطينية المُستقلّة.

الشعراء والفنانون ليسوا عرّافين، يقرأون المستقبل، ولكن، هناك نصوص وأغانٍ تعيش عبر الزمن، وتتخطّى اللحظة التي كُتبت فيها، ومن وحي أجوائها، ومنها هذه القصيدة – الأغنية، ولأنّنا شهود على أنّ التحركات الطلابية في الغرب، وفي العالم، المناصرة لغزّة ولفلسطين، انطلقت من الجامعات الأميركية قبل غيرها، فلنقرأ، إذن، ما كتبه أحمد فؤاد نجم وغنّاه الشيخ إمام في الأغنية نفسها، وكأنّ لسان حالهما يتحدّث عن حاضرنا في عام 2024، وليس عن نهاية ستينيات وبداية سبعينيات القرن المنصرم فقط، فجاء فيها: «يا صوت أميركا يا أميركاني/ رجعوا التلامذة يا عم حمزة للجد تاني».

ألا يصحّ القول إنّ هذين البيتَين بالذات من القصيدة يصفان الفشل الذريع الذي انتهت إليه آلة التضليل الإعلامي الأميركي، والصهيوني بالطبع، في حجب حقيقة ما جرى ويجري في غزّة وفلسطين، ليس بعد 7 أكتوبر (2023)، وإنّما منذ قامت دولة الاحتلال على أرض ليست لها، طردت منها أهلها، وحوّلتها قاعدةً متقدّمةً للنفوذ الأميركي – الأطلسي في المنطقة؟ فها هو الرأي العام العالمي يثور غاضباً على عدوان إسرائيل وداعميها، بعد أن أدّى الصمود الفلسطيني في غزّة، والصفّة الغربية أيضاً، إلى لفت الأنظار إلى حقيقة ما يجري، ولم تفلح التعبئة الصهيونية والإعلامية المُحكمة، التي جرت لتوظيف عملية حركة حماس في غلاف غزّة ولشيطنة كلّ ما هو فلسطيني، في الحيلولة ليس دون عودة «التلامذة للجدّ تاني» فقط، وإنّما تشكّل واقع دولي جديد، شعبيّاً، وإلى حدّ ما، رسميّاً أيضاً، في النظر إلى القضية العادلة للشعب الفلسطيني، فلم تعد إسرائيل في صورة الضحية المُهدّدة بالاعداء من كلّ جانب، إنّما بانت على حقيقتها منذ قيامها، كياناً مُحتلّاً وغاصباً يقترف الجرائم ضدّ شعبٍ مُتمسّك بحقّه في البقاء على تراب بلاده، وإقامة دولته المُستقلّة فيه.

لقد انقلب السحر على الساحر، ورغم بشاعة ما ترتكبه إسرائيل من جرائم في قطاع غزّة آتت إلى عدد مهول من الضحايا، هو إلى ازدياد كلّ يوم، وإلى دمار وتهجير، فإنّ العدوّ الذي حسب حربه في غزّة جولة سريعة لن تستغرق سوى أيام أو أسابيع محدودة جدّاً، سيُدمّر فيها القطاع ويقتل من فيه أو يُهجّرهم، وقبل هذا وبعده، يقضي على مقاومته المُسلّحة، ها هي شهور ثمانية تمرّ، وليس من هدف أعلنت إسرائيل الحرب من أجله قد تحقّق، اكان القضاء على المقاومة أو استعادة الرهائن من جنودها ومواطنيها المحتجزين في غزّة، والذين قتل كثير منهم بنيران إسرائيل نفسها، بل إنّ القضية الفلسطينية التي حسب كثيرون أنّها إلى موات، ها هي تعود بقوّة لم نعرف لها مثيلاً.

مفترق طرق تاريخي

محمد أبو رمان

في وقت ينتظر فيه العالم ردّي كلّ من حركة حماس وحكومة بنيامين نتنياهو على المقترح الأميركي، فإنّ النتيجة قد تكون الذهاب نحو هدنة ووقف لإطلاق النار، وربما نحو مرحلة جديدة سياسياً، ليس في الحالة الفلسطينية فحسب، بل في المنطقة، وقد تذهب الأمور نحو تصعيد مسلّح أكبر، وربما توسيع ساحة الصراع مع ارتفاع الاشتباكات المُسلّحة وتوسّعها بين حزب الله وجيش الاحتلال في المناطق الشمالية، فالتطوّرات ما تزال مفتوحةً على احتمالات وسيناريوهات متضاربة. ثمّة حالة من «عدم اليقين» ومن الضبابية، في اللحظة الراهنة، التي تُخيّم على المشهد في غزّة، وتصيب حتّى الأطراف المعنيّة باتخاذ القرارات؛ الأمر الذي دفع مُحلّلاً سياسياً وخبيراً في السياسات الأميركية والشرق الأوسط، وهو توماس فريدمان، إلى أن يقول، في مقابلة قصيرة مع قناة الجزيرة قبل أيام، إنّه بالفعل لا يعرف ما هو السيناريو الذي قد تؤول إليه الأمور؛ إذا

إلى مرحلة سياسية لتدشين تصورات إقليمية جديدة، أو حرب تتوسّع وقد تشمل عدة دول، وتبتلع مقترح وقف النار، ومحاولات الحلّ السياسي ووقف إطلاق النار.

أين تكمن العقدة؟... في أمرين رئيسَين: الأول، بنية الحكومة الإسرائيلية الحالية، وهي يمين مُتطرّف مُتشدّد، يخلط ما بين الأهداف السياسية والأحلام التوراتية، يشارك في حكومة نتنياهو، والأخير الذي يخلط بين منظوره الأيديولوجي للأمن القومي الإسرائيلي والأسباب الشخصية الحاسمة في موقفه من وقف إطلاق النار، والضمانات التي يريدها من الأميركيين لمستقبله السياسي (بالضغط على يائير لبيد وغانتس والمعارضين لنتنياهو لتوفير غطاء، بديل في حال انسحب حزبا سموتريتش وبن غفير).

الأمر الثاني، العقلية التي تحكم إسرائيل، أو منطق المُنتصر والمُتغلّب الدائم، أو «اعتياد النصر»، كما وصفها أستاذ العلوم السياسية الأردني، وليد عبد الحي، فالمجتمع السياسي الإسرائيلي الحالي هو مُحصّلة المعارك العسكرية والسياسية العربية - الإسرائيلية (منذ 1948 حتّى آخر اتفاقيات التطبيع الإقليمية)، وهي عقلية تقوم على معايير حاسمة في الحدود الدنيا للأمن الإسرائيلي، وفي الحالة الراهنة لن يكون مقبولاً، ليس فقط لنتنياهو، بل حتّى للمؤسّسات العسكرية والأمنية الإسرائيلية، أقلّ من تدمير «حماس» بالكامل، وضمانات فيما يتعلّق بمستقبل غزّة، بما يعني عدم قيام أيّ تهديد عسكري مباشر من هناك، والحال نفسها، في مرحلة لاحقة، ستكون مع حزب الله ولبنان. المشكلة أنّ ما تحكم الموقف الإسرائيلي حسابات عقلانية - واقعية في الربح والخسارة، بل «عقلية» و«ثقافية»، وبالمناسبة، هي لم تتغيّر منذ تأسيس الكيان، وبالعودة إلى كتاب مُهمّ صادر قبل أعوام: «سيّد اللعبة: هنري كسنجر وفنّ الديبلوماسية في الشرق الأوسط» (ترجمة ياسر صديق، دار نهضة مصر، القاهرة، 2023)، لأحد أهم الاستراتيجيين الأميركيين الحاليين، مارتن انديك، من المفيد مراجعة الموقف والظروف التي سبقت حرب 1973 وما بعدها، ومقارنتها بالبوم. لنجد أنّ العقلية الإسرائيلية لم تتغيّر في ما يتعلق بمفاهيم الأمن والقلق الوجودي، لكنّ الاختلاف والفرق أنّه كانت لدى كيسنجر، وهو يهودي ومُؤيّد لإسرائيل، القدرة على الدخول في ثنايا السيكولوجيا الإسرائيلية وجرّها إلى مرحلة التطبيع مع مصر.

يبدو اليوم أنّ الرئيس الأميركي جو بايدن حاول، في خطابه ومقترحه زيادة الضغط على نتنياهو وإجباره على وقف إطلاق النار، ليس لمصلحة الفلسطينيين، ولا بسبب الكارثة الإنسانية المرعبة في غزّة، بل لحسابات داخلية أميركية، ولحسابات المصلحة الاستراتيجية لإسرائيل، التي يرى بايدن أن نتنياهو يضرّ بها، وأنّه قد أضاع الطريق (!) ليست المشكلة لدى حركة حماس، بأيّ منطق واقعي وعقلاني، فالحركة قدّمت مطالب منطقية وتنازلت عن شروطٍ كثيرة، لكنّها في النرجسية التي أصابت الكيان وجعلته لا يرى بديلاً عن الحسم العسكري، الذي وصل إلى حلقة مفرغة.

في توظيف الإسلاموفوبيا ضد الشعب الفلسطيني

لميس أندوني

«فلسطين حرّة تعني دولة شبيهة بحكم طالبان» تحكمها حركة حماس الفاشية»... سلمان رشدي، 2024/5/20

ليس جديداً توظيف الرُهاب من المسلمين والتمييز ضدهم، في تبرير الاستعمار الغربي، فتقويض إنسانية «الآخر» وشيطنته من أهم أدوات إحكام السيطرة على الشعوب والتنكيل بها. لذا نرى حالياً هجمة إسلاموفوبية شرسة دفاعاً عن إسرائيل مع معاداة الشعب الفلسطيني. فمن الكاتب البريطاني العنصري دوغلاس مورای إلى الروائي البريطاني من أصول هندية سلمان رشدي، ينخرط مثقفون في توظيف الإسلاموفوبيا لتبرير حرب الإبادة الإسرائيلية ورفض حرية الفلسطينيين وتحرّرهم، أحياناً بحجّة التوجّه الأيديولوجي لحركة حماس، لكنها في معظمها انطلاقاً من الدفاع عن إسرائيل والسياسات الأميركية.

لا توجد قواسم مشتركة بين مورای ورشدي، فالأول يميني معروف بكراهيته الإسلام واحتقاره المسلمين، والآخر مسلم ويعي تماما عدالة القضية الفلسطينية، لكنه اختار منذ أكثر من عقدين استرضاء الغرب وترويج السياسات الأميركية ابتداءً من حرب العراق وصولاً إلى إعلانه العداء لإقامة دولة فلسطينية، في تمامٍ تامٍّ مع قادة إسرائيل والصهاينة في واشنطن. في حالة مورای، الذي تتسابق محطات التلفزة لمقابلته، ومراكز أبحاث أميركية واوروبية لاستضافته، وبخاصة بعد انطلاق عملية طوفان الأقصى، هو عنصري يجاهر دائما بتحريضه ضد المسلمين في بريطانيا، ويرى، كما شرح في كتابه «الدفاع عن الغرب»، أنّ المسلمين خطر على المجتمعات وعلى الحضارة الغربية، فهو يستهجن وجود مسلمين «يشوّهون» أحياء المدن البريطانية «ويلوّثونها» لمجرّد أنهم مسلمون.

عليه؛ يعتبر أن إسرائيل خط الدفاع الأول عن الحضارة الغربية، تماما كما كان يبشر به زئيف جابوتنسكي، أحد أهم مؤسسي قادة الحركة الصهيونية، ومنسجما مع تصريحات رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو، في أول يوم للحرب على غزة، بأن هذه الحرب صراع بين الخير والشر، وبين الحضارة والمتوحشين. وعليه، طلع علينا مورای من المنظور نفسه مبرّرا لإسرائيل ما ترتكبه من احتلال وقتل واقتلاع للشعب الفلسطيني بوصفه ضروريا لحماية الحضارة الغربية، ليس لأن حركة حماس إسلامية، بل لأن ممثلة «الحضارة» إسرائيل تقوم بدورها في هزيمة «المتوحّشين».

لذا أصبح مورای من أهم ممثلي الدفاع عن إسرائيل، تستعيض به وسائل الإعلام الغربية عن مسؤولين أو كتّاب إسرائيليين، فلديه ما يطلق عليه «لهجة أكسفورد» والملامح الأوروبية، أي أنه يجسّد التفوق العنصري «للرجل الأبيض»، ارستقراطي المظهر، للدفاع عن جرائم حرب باسم أخلاق «الغرب الحضارية» وأخلاقياته المشتركة مع إسرائيل.

أما رشدي فهو قصة أخرى، لا ينطلق من الإسلاموفوبيا، بل من قرار اتخذه في خدمة الحكومات الغربية، وبالأخص الأميركية، ورغبة بالانتماء إلى «الحضارة الغربية»، حتى لو أصبح بوقاً للسياسات الاستعمارية، فقد بدأ مسيرته مناصراً بليغاً للقضية الفلسطينية، وانقلب عليها في بدايات الألفية الثالثة، وكان المبرّر الذي يصر مناصروه عليه هو الفتوى الإيرانية بإهدار دمه بعد صدور روايته «آيات شيطانية» في 1988. لكنه مبرّر مرفوض، إذ كان رشدي من المدافعين عن القضية الفلسطينية عن قناعة، كما ارتبط بصداقة قوية مع المفكّر الفلسطيني إدوارد سعيد والمثقف اليساري الأميركي من أصول باكستانية إقبال أحمد، إضافة إلى أن سعيد وأحمد وكتّاباً عرباً ومسلمين أعلنوا تضامنهم مع رشدي بصوت عالٍ قولاً وكتابة، ودافعوا عن حقه بالتعبير والحياة في وجه الفتوى الإيرانية.

بدأ الإعجاب برشدي قبل إصداره الرواية المثيرة للجدل «آيات شيطانية»، فروايته الأولى «العار»، كانت نقداً عميقاً للنخبة الباكستانية، ومثّلت الثانية «أطفال منتصف الليل» تشريحاً سياسياً واجتماعياً لتاريخ الهند. لكن انقلاب رشدي الفكري والسياسي إلى حد تقمّص شخصية الاستشراقي الاستعماري وضعه في خانة معادية تماماً، وإن كان ذلك ليس حجّة للفتوى الإيرانية، ولا لمحاولة قتله التي أفقدته البصر، فهذه جريمة اعتداء بشعة ومدانة، فهو ليس كالسياسيين الشعوبيين اليمينيين، ولا يشبههم، لكنه عملياً يكمل دورهم، ويعطيهم، لكونه مسلماً، مصداقية يفتقدونها هم وقادة إسرائيل.

المهم أن رشدي يردّد ما يبثه الصهاينة والسياسيون اليمينيون، وبعض الليبراليين الذين يغطّون عداءهم السياسي وتنظيمهم الدولة الإسلامية (داعش) والقاعدة، وهم يعرفون حقيقة كذبتهم، فحقّ تحرّر الشعوب غير مشروط بشكل الحكم. والصحيح أننا نأمل بفلسطين ديمقراطية، لكن هذه المقولات تعني قبول القتل اليومي وهدم المنازل والاستيلاء الإسرائيلي على الأراضي وتشريد الفلسطينيين، ودعماً وقحاً لمشروع استيطاني إحلالي عنصري لفلسطين، وتوفّت مثل هذه المقولات التي يتبناها بعض الليبراليين هو تواطؤ، بل ومشاركة في حرب الإبادة ومحاولة محو هوية الشعب الفلسطيني.

> هناك فرقٌ بين معارضة التيار الإسلامي ايديولوجياً والتقصير في مواجهة ادوات الاستعمار والصهيونية

يدافع هؤلاء أنفسهم ويدعمون الابارتهايد الكولونيالي في فلسطين، وحتى إنهم يبرّرون قتل الأطفال، كما فعل أستاذ العلوم السياسية جرايمي وود في مقال في مجلة أتلانتيك الأميركية، في 17 الشهر الماضي (مايو/ أيار)، بادّعائه أن قتل الأطفال يكون «قانونياً»، متّهما المنظمات الدولية بتقديم بيانات غير صحيحة عن عدد الأطفال الذين قتلوا نتيجة القصف الإسرائيلي في قطاع غزّة، منطلقاً من التصريحات الإسلاموفوبية نفسها، ليستقل تخويف الإنسان الغربي من الإسلام والمسلمين لتقويض إنسانية الفلسطيني وضحايا الحروب الأميركية.

المشكلة أن بعض العلمانيين العرب، واعتبر نفسي علمانية، يتبنون بعض هذه المقولات التي تحذر من دولة فلسطينية إسلامية أو من انتصار حركة حماس في المواجهة. يختلف هؤلاء في رؤاهم، فبعضهم يعادي الشعب الفلسطيني بحجج مختلفة، ويتمنّى بعضهم الآخر خسارة «حماس» في المواجهة مع إسرائيل، ليس من قبيل عدم التضامن مع الشعب الفلسطيني، وإنما من قبيل الخوف من استقواء التيار الإسلامي في العالم العربي بانتصار المقاومة الفلسطينية.

حسم من يعادون القضية الفلسطينية من «المثقفين العرب» موقفهم مع إسرائيل. أما الخشية من انتصار الإسلام السياسي في حال انتصار «حماس» فهو موقف قصير النظر، إذ إن انتصار إسرائيل كارثة على الشعب الفلسطيني والشعوب العربية.. أي أنّ هناك خشية من استشراء الإسلاموفوبيا، بمعنى الرُهاب من التيار الإسلامي، بين الأحزاب والمثقفين، تؤدي إلى نتيجة الإسلاموفوبيا العنصرية الغربية نفسها، وإن اختلفت الدوافع.

أدعو المثقفين العرب إلى اتخاذ موقف حازم حيال الإسلاموفوبيا واستغلالها لتمرير حرب الإبادة الإسرائيلية، فهناك فرقٌ بين معارضة التيار الإسلامي ايديولوجياً والتقصير في مواجهة أدوات الاستعمار والصهيونية.

(إعلامية من الأردن)

كاريكاتير كارتون موفمنت

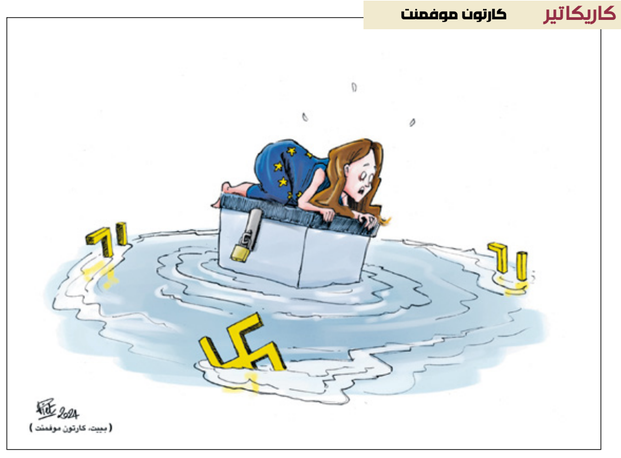

عن الاتفاقية الأميركية ـ السعودية

يقظان التقي

تأخذ العلاقات الأميركية السعودية خطوات تتأرجح (أو تترجّح) لتعزيز تحالفاتها، في ظل التحولات الجيوسياسية والاقتصادية في المنطقة، ولتحقيق استراتيجية الولايات المتحدة بشأن تقويض نفوذ الصين وروسيا وإيران في مناورات كبرى تجري في الشرق الأوسط.

تتركّز الخطة الأميركية على مجموعة من الإجراءات السياسية والاقتصادية والعسكرية، تهدف إلى الحدّ من التمدّد الصيني والتدخل الإيراني في الشؤون الداخلية للدول العربية، بالإضافة إلى تشديد الخناق على روسيا. وعلى الرغم من التحدّيات التي تواجهها مثل هذه الاستراتيجية، إلا أن هناك إرادة تصميم على التعاون والتحرّك الجماعي لمواجهة التحدّيات الإقليمية والدولية. لكن الاتفاقية الأمنية/ الخليجية، المشروطة بالتطبيع مع إسرائيل، قد تواجه مقاومة من قوى أساسية من المجتمعات العربية والإسلامية، ومن القوى الشعبية المعارضة للتطبيع. وتواجه بعض الدول العربية تحدّيات كبيرة في التوافق على القضايا، نتيجة تعقيدات المصالح الإقليمية المختلفة، وحيث عادت القضية الفلسطينية إلى قلب الشرق الأوسط لتحتل العالم، وتسبق التطبيع والأمور الأخرى. ولم يعد هناك من يشكّل خطراً على مسارات الانتماء إلى الموضوع الفلسطيني، يشكّل هذا كله قاعدة صلبة في البحث الجدّي عن حل يريح الشعب الفلسطيني، ما يشكل قاعدة عامة لمعالجة خطورة الحرب في أوكرانيا، حيث تخسر أوروبا نوع حياتها وثقافتها، أو الدخول في حرب جديدة في تايوان، ولا بد للمجتمع الدولي من أن يتقدّم في مسار آخر لمنع حرب عالمية ثالثة.

يمكن لردود الفعل من إيران وروسيا والصين أن تعقّد تنفيذ بعض جوانب الاتفاقية في مرحلة رمادية تستقطب صراعات كبيرة على النظام العالمي الجديد، وتعاكس الاتجاه العام نحو الاستقرار والسلام في الجنوب وشيء من الالتزام مع شعوب تعاني من فظاعة الأحداث في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا.

تملك السعودية القدرة على ميل الكفّة لصالح الاتفاقية، نتيجة التأثير الإقليمي، الذي يمنحها التأييد والدعم السياسي، ويمكن أن يعزّز الدعم الأميركي الاتفاقية من فرص نجاحها. وتروّج أميركا أن التطبيع مع إسرائيل يمكن أن يفتح الأبواب أمام فرص اقتصادية جدّية للدول المشاركة، تساعد في تعزيز الاستقرار الإقليمي، وكذلك التعاون العسكري بهدف تعزيز القدرة الدفاعية للدول العربية، وما يساعد في تحقيق التوازن الإقليمي مع إيران التي كانت قد استبقت خطوات التوقيع على الاتفاقية بعرض رؤيتها وبتحذير من أن «الاستقرار قد يكون بخطر بسبب التوترات في المنطقة». وفي زاوية تعكس الديناميات السياسية والاستراتيجية المتناقضة، وبأستجابة للتصورات السياسية المتعلقة بالإعلان عن زيارة ولي العهد السعودي محمد بن سلمان إليها كجزء من الدبلوماسية العامة والرد على المستجدات الدولية، فإيران تسعى إلى لعب دور أساسي في التسويات وإدارة الأزمات في استراتيجية أوسع لتعزيز تأثيرها في المنطقة. وفي المقابل، لا يبدو أن إعلان الزيارة يتعارض مع الاتفاقية الأميركية، بل يعكس توازناً في العلاقات الخارجية. ويعزّز التقارب الذي حصل مع إيران بوساطة صينية في مارس/ آذار 2023 الاستقرار في البحر الأحمر وإخراج المملكة والصين من الصراع على الخطوط البحرية. لكن الحسابات السعودية تنطلق من خشية أن طهران ما بعد غزّة قد تلجأ إلى التملّص من الضمانات الأمنية وزعزعة استقرار بعض الدول العربية.

ينعكس هذا التردّد لدى الأطراف السياسية في اتخاذ خطوات اسرع، والسعودية تخاطر بإعادة إشعال الخلافات مع الإدارة الديمقراطية بالانحياز إلى روسيا، وفي استهداف مخزون النفط الاستراتيجي في وقت يكافح الأميركيون لمكافحة التضخم، أو الانخراط في تحالف روسي/ صيني ضد الغرب.

يتطلّب الرهان السعودي على الوصول إلى وضع قوة إقليمية القدرة على المناورة، ليس فقط اقتصادياً أو عسكرياً أو دبلوماسياً في حقل من العلاقات الدولية صارت نباته مرئية. وينتهج نائب من سياسة خارجية أكثر استقلالية عن الولايات المتحدة، حين تسعى المملكة إلى موازنة علاقاتها مع أطراف دولية أخرى، لأن العلاقة تأتي معها من دون ضغوط لتحسين سجلّ حقوق الإنسان (في الصين نخب تحدّث شعبها، وليس انتخابات ديمقراطية وإعلام وصحافة). هل سيكون الشرق الأوسط قائماً على رؤية 2030 في الانفتاح والاستقرار والنمو، أم يقوم على المفاجأة؟ والتطبيع مع إسرائيل قد يثير إشكالات معقّدة مع تحوّلها إلى دولة منبوذة عالمياً وقانونياً، خصوصاً في ظل الوضع الإنساني المتفجر في غزّة، وكسر حركة حماس هيمنة الردع التصعيدية، وترسيخ عداءات محيطة بالكيان المحتل لعنصريته وفاشيته، ما يجعل أفق المرحلة سيّالة.

ثمّ من المهم للسعودية الحفاظ على استقرارها الداخلي لتعزيز دورها الإقليمي والدولي. لذلك قد يُستخدم أي تطور يتعلق بالتطبيع مع إسرائيل عاملاً محتملاً للتأثير على استقرارها وسياستها الخارجية، ويتعيّن عليها الحذر في إدارة التحرّكات السياسية لضمان عنصر عدم الاستعجال. وفيما يتعلق بسياق خطة بايدن المعلنة أخيراً، المتعلقة بوقف الحرب على غزّة، لا يبدو أن التنسيق بين البلدين يندرج مباشرة ضمن الخطّة التي تتركز على تقديم الدعم الإنساني، ومحاولة تحقيق وقف مؤقت لإطلاق النار للسماح بدخول المساعدات. لذلك تواجه السعودية تحدّيات كبيرة في موازنة علاقاتها «غير الموثوقة تماماً» مع إدارة بايدن للحفاظ على موقعها ومصالحها، فالسعودية وروسيا تتعملان معاً في مجموعة أوبك +، للتحكّم في إنتاج النفط الذي يمنحها نفوذاً واسعاً في أسواق الطاقة العالمية، فيما تسعى إلى توسيع شراكتها مع الصين في مجال التكنولوجيا والبنية التحتية (مجموعة اتفاقيات وقع عليها الرئيس شي جين بينغ في زيارته الرياض أخيراً).

> يتيح تبنّي السعودية سياسات مرنة التكيّف مع مجمل التغييرات وبتفاعلية مع التجاذبات والتقلبات العالمية وتقرير التعاون مع الأطراف والدول المجاورة

من غير الواضح، ما إذا كانت السعودية تراهن، بشكل مباشر، على عودة الرئيس ترامب، أو نهاية الديمقراطية الحالية، سيما أن إدارة بايدن كانت قد اتخذت موقفاً حذراً وانتقادياً تجاهها، خصوصاً فيما يتعلق بقضية الصحافي جمال خاشقجي وحقوق الإنسان وحرب اليمن. كل نجاحات محمد بن سلمان الهادفة إلى تنويع الاقتصاد وتقليل الاعتماد على النفط من خلال مجموعة من المشاريع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية غير ممكنة، إلا في بيئة إقليمية من الاستقرار لتعزيز ثقة المستثمرين الأجانب والمحليين، ولضمان تنفيذها بنجاح من دون تأخيرات. ولا تزال الولايات المتحدة تعدّ شريكاً استراتيجياً، خصوصاً في مجالات الأمن والتعاون العسكري، وفي مجال مكافحة الإرهاب، والشركات والاستثمارات الأميركية تلعب دوراً كبيراً في تطور الاقتصادي السعودي.

يتيح تبنّي السعودية سياسات مرنة التكيّف مع مجمل التغييرات وبتفاعلية مع التجاذبات والتقلبات العالمية وتقرير التعاون مع الأطراف والدول المجاورة. لكن هناك نقاطاً حساسة جداً يجب النظر إليها عند مناقشة أي اتفاقية داخل المملكة، وهناك توزّع للقوى الأميركية، التي تمثل مصالح مختلفة. وهذا يمكن أن يؤثر بشكل كبير على قدرة المملكة على اتخاذ القرارات وتنفيذ السياسات والإصلاحات السياسية والاقتصادية، وبالتالي، يجب أخذ هذه الديناميات عند العوام والأجيال الجديدة بالاعتبار عند التفاوض على أي اتفاقية خارجية خطيرة مثل التطبيع، علماً أن العائلة الحاكمة تملك تاريخاً طويلاً من التماسك والقدرة على إدارة الصراعات.

(كاتب لبناني)

معاداة السامية... سيف ديموقليس العصر

سلام الكواكبي

في فترة الازدحام المروري، الذي يُشكّل القاعدة في باريس، وفي شارع فرعي ضيّق وسط المدينة، أراد شرطي أن يساعد سيّارة إسعاف في شقّ طريقها بين عشرات السيّارات والحافلات والدرّاجات، فبدأ بتوجيه التعليمات، بتوتّر وبشيء من الحدّة، لمن كانوا يتأخّرون عن التوقّف في جانبي الطريق تسهيلاً لعبور الحالة الإسعافية. وفجأة، توقّف أحد السائقين عن السير بالبتة في وسط الشارع، ونزل منها متوجّهاً إلى الشرطي، وصارخاً: «أنا يهودي، وتوجيه الأوامر إلى اليهود بهذه اللهجة انتهى عهده، لم نعد في جمهورية فيشي وأنت معادٍ للسامية». توقّف جميع من في الشارع عن الحركة، وربّما حتّى عن التنفّس، وبدا أنّهم غابوا بنظراتهم في بعدٍ ثالثٍ لا نهاية منظورة له. وللناظر عن بعد، بدا أنه مشهدٌ سينمائي، وأنّ أحدهم قد ضغط على زرّ تجميد الصورة. أمّا الشرطي المسكين، فقد أسقط في يده، وقد بدا وكأنّه تلقّى صفعةً نارية، وكادت عيناه تدمعان، وبدأت ملامحُه بالتحوّل من الصرامة المتوتّرة الراغبة في تسهيل عبور حالة إسعافية إنسانية، إلى مرحلة الاسترخاء العضلي التي سرعان ما رسمت على شفتيه علامات الاستعطاف، وزرعت في وجنتيه ملامح الخوف من أن يكون قد ارتكب بتهمة هي من أخطر ما يمكن أن يُتّهم به إنسان في الجمهورية الفرنسية الخامسة، وهي معاداة السامية. وانتهت الواقعة بأن يتقدّم الشرطي من السائق «السامي» فترعداً، وبأن يطلب منه الصفح، وبأن يُبرّر له موقفه مشيراً إلى سيّارة الإسعاف التي ما زالت تحاول المرور. وبعد أن أضيف إلى هذا المشهد الاستعطافي، تدخّل بعض أولاد الحلال من المارّة لدى السائق مبرّرين للشرطي «خطيئته»، بدا أنّ السائق «الضحية» قد شعر بالرضى والحبور، ما حمله على امتطاء صهوة المسامحة والعودة إلى سيّارته، ومتابعة طريقه، مُودّعاً بما يليق به من حفاوة الشرطي والمارّة.

ما سبق وقع بالفعل، وليس من محض خيال الكاتب رغم سوريّاليته، وهو مُؤشّرٌ على مناخ مُتوتّر يعبث ترهيباً في المشهد الفرنسيّ خصوصاً، والغربي عموماً. وهو شعورٌ منتشرٌ بارتفاع حدّة موجات معاداة اتباع الديانة اليهودية، وهو ما يُسمّى جهلاً معاداة السامية في المطلق. وتاريخ فرنسا «عريقٌ» في هذا الحقل. وقد كانت البداية في العصور الوسطى، حين فُرضت قيودٌ صارمةٌ على اليهود في مختلف المجالات، بما في ذلك التجارة والمهن. ثمّ جاء الاحتلال الصليبيّ الذي تعرّض خلالها اليهود لمجازر ونهب في من الشارع عن الحركة، وربّما حتّى عن التنفّس، وبدا أنّهم غابوا بنظراتهم في بعدٍ ثالثٍ لا نهاية منظورة له. وللناظر عن بعد، بدا أنه مشهدٌ سينمائي، وأنّ أحدهم قد ضغط على زرّ تجميد الصورة. أمّا الشرطي المسكين، فقد أسقط في يده، وقد بدا وكأنّه تلقّى صفعةً نارية، وكادت عيناه تدمعان، وبدأت ملامحُه بالتحوّل من الصرامة المتوتّرة الراغبة في تسهيل عبور حالة إسعافية إنسانية، إلى مرحلة الاسترخاء العضلي التي سرعان ما رسمت على شفتيه علامات الاستعطاف، وزرعت في وجنتيه ملامح الخوف من أن يكون قد ارتكب بتهمة هي من أخطر ما يمكن أن يُتّهم به إنسان في الجمهورية الفرنسية الخامسة، وهي معاداة السامية. وانتهت الواقعة بأن يتقدّم الشرطي من السائق «السامي»، فترعداً، وبأن يطلب منه الصفح، وبأن يُبرّر له موقفه مشيراً إلى سيّارة الإسعاف التي ما زالت تحاول المرور. وبعد أن أضيف إلى هذا المشهد الاستعطافي، تدخّل بعض أولاد الحلال من المارّة لدى السائق مبرّرين للشرطي «خطيئته»، بدا أنّ السائق «الضحية» قد شعر بالرضى والحبور، ما حمله على امتطاء صهوة المسامحة والعودة إلى سيّارته، ومتابعة طريقه، مُودّعاً بما يليق به من حفاوة الشرطي والمارّة.

> سياسات محسوبة أو عشوائية لن تؤدّي إلّا إلى تفاقم الشرخ المجتمعي

ما سبق وقع بالفعل، وليس من محض خيال الكاتب رغم سوريّاليته، وهو مُؤشّرٌ على مناخ مُتوتّر يعبث ترهيباً في المشهد الفرنسيّ خصوصاً، والغربي عموماً. وهو شعورٌ منتشرٌ بارتفاع حدّة موجات معاداة اتباع الديانة اليهودية، وهو ما يُسمّى جهلاً معاداة السامية في المطلق. وتاريخ فرنسا «عريقٌ» في هذا الحقل. وقد كانت البداية في العصور الوسطى، حين فُرضت قيودٌ صارمةٌ على اليهود في مختلف المجالات، بما في ذلك التجارة والمهن. ثمّ جاء الاحتلال الصليبيّ الذي تعرّض خلالها اليهود لمجازر ونهب في من الشارع عن الحركة، وربّما حتّى عن التنفّس، وبدا أنّهم غابوا بنظراتهم في بعدٍ ثالثٍ لا نهاية منظورة له. وللناظر عن بعد، بدا أنه مشهدٌ سينمائي، وأنّ أحدهم قد ضغط على زرّ تجميد الصورة. أمّا الشرطي المسكين، فقد أسقط في يده، وقد بدا وكأنّه تلقّى صفعةً نارية، وكادت عيناه تدمعان، وبدأت ملامحُه بالتحوّل من الصرامة المتوتّرة الراغبة في تسهيل عبور حالة إسعافية إنسانية، إلى مرحلة الاسترخاء العضلي التي سرعان ما رسمت على شفتيه علامات الاستعطاف، وزرعت في وجنتيه ملامح الخوف من أن يكون قد ارتكب بتهمة هي من أخطر ما يمكن أن يُتّهم به إنسان في الجمهورية الفرنسية الخامسة، وهي معاداة السامية. وانتهت الواقعة بأن يتقدّم الشرطي من السائق «السامي»، فترعداً، وبأن يطلب منه الصفح، وبأن يُبرّر له موقفه مشيراً إلى سيّارة الإسعاف التي ما زالت تحاول المرور. وبعد أن أضيف إلى هذا المشهد الاستعطافي، تدخّل بعض أولاد الحلال من المارّة لدى السائق مبرّرين للشرطي «خطيئته»، بدا أنّ السائق «الضحية» قد شعر بالرضى والحبور، ما حمله على امتطاء صهوة المسامحة والعودة إلى سيّارته، ومتابعة طريقه، مُودّعاً بما يليق به من حفاوة الشرطي والمارّة.

ما سبق وقع بالفعل، وليس من محض خيال الكاتب رغم سوريّاليته، وهو مُؤشّرٌ على مناخ مُتوتّر يعبث ترهيباً في المشهد الفرنسيّ خصوصاً، والغربي عموماً. وهو شعورٌ منتشرٌ بارتفاع حدّة موجات معاداة اتباع الديانة اليهودية، وهو ما يُسمّى جهلاً معاداة السامية في المطلق. وتاريخ فرنسا «عريقٌ» في هذا الحقل. وقد كانت البداية في العصور الوسطى، حين فُرضت قيودٌ صارمةٌ على اليهود في مختلف المجالات، بما في ذلك التجارة والمهن. ثمّ جاء الاحتلال الصليبيّ الذي تعرّض خلالها اليهود لمجازر ونهب في من الشارع عن الحركة، وربّما حتّى عن التنفّس، وبدا أنّهم غابوا بنظراتهم في بعدٍ ثالثٍ لا نهاية منظورة له. وللناظر عن بعد، بدا أنه مشهدٌ سينمائي، وأنّ أحدهم قد ضغط على زرّ تجميد الصورة. أمّا الشرطي المسكين، فقد أسقط في يده، وقد بدا وكأنّه تلقّى صفعةً نارية، وكادت عيناه تدمعان، وبدأت ملامحُه بالتحوّل من الصرامة المتوتّرة الراغبة في تسهيل عبور حالة إسعافية إنسانية، إلى مرحلة الاسترخاء العضلي التي سرعان ما رسمت على شفتيه علامات الاستعطاف، وزرعت في وجنتيه ملامح الخوف من أن يكون قد ارتكب بتهمة هي من أخطر ما يمكن أن يُتّ

بعد ثمانية أشهر من العدوان إسرائيل فاشلة ومتهمة بالإجرام

مصطفى البرغوثي

لم يكن مفاجئاً تصريح زعيم حزب إسرائيل بيتنا، أفيغدور ليبرمان، أنه وبعد ثمانية أشهر من الحرب على غزّة، «حصلت إسرائيل على العار الكامل بدلاً من النصر الكامل». والواقع أن حصيلة هذه الأشهر الثمانية من العدوان الإجرامي على غزّة تكريس إسرائيل كياناً فاشلاً ومتّهما بالإجرام، إذ فشلت عسكرياً، وسياسياً، واقتصادياً، وأخلاقياً، واستراتيجياً. على الصعيد العسكري، فشلت حكومة نتنياهو في تحقيق أيٍّ من أهدافها الأربعة، أي اقتلاع المقاومة الفلسطينية، وفرض سيطرتها العسكرية على القطاع، ونحن نشاهد تواصل المعارك حتى في مناطق محاذية للحدود مثل بيت حانون، وبيت لاهيا، وجباليا، واسترداد الأسرى الإسرائيليين بالقوة، وتحقيق الهدف الرئيس لعدوانها، التطهير العرقي لقطاع غزّة وتهجير سكانه إلى صحراء شبه جزيرة سيناء .

وسياسياً، تواجه إسرائيل فشلاً عميقاً بتعمّق عزلتها الدولية، وتزايد الاعترافات بالدولة الفلسطينية التي بلغت 148 دولة، ما يزيد عن عدد الدول المعترفة بإسرائيل نفسها، وصدور قرار من مجلس الأمن بوقف إطلاق النار. ولعل أبرز مظاهر الفشل السياسي مداولات محكمة العدل الدولية عن احتمال ارتكاب إسرائيل جريمة الإبادة الجماعية، وتزايد عدد الدول المنضمّة إلى جنوب أفريقيا في دعوتها، وتوالي قرارات المحكمة، بما فيها قرار وقف العمليات العسكرية الإسرائيلية في منطقة رفح. ويضاف إلى ذلك فتح التحقيق في محكمة الجنايات الدولية بجرائم الحرب الإسرائيلية، وتوجيه المدّعي العام للمحكمة الاتهام لنتنياهو ووزير الجيش الاسرائيلي غالانت بارتكاب جرائم حرب، وطلبه من مجلس قضاة المحكمة إصدار أمر اعتقال بحقّهما، وهو أمر لم يتخيّل أي سياسي إسرائيلي في أسوأ كوابيسه إمكانية حدوثه.

تواجه اسرائيل أيضاً فشلاً اقتصادياً، يتجلّى، أولاً، في تراجع تصنيفها الائتماني، وثانياً، في انهيار قطاعي السياحة والزراعة فيها، ما أدّى إلى ارتفاع غير مسبوق في الأسعار، وثالثاً، في تراجع حجم صادراتها العسكرية وتراجع أهم قطاع مصدّر إلى الخارج، وهو تكنولوجيا المعلومات، بسبب تجنيد عدد كبير من العاملين فيه، بالإضافة إلى تراجع عدد الدول الراغبة في الدخول في صفقات اقتصادية مع إسرائيل، وتزايد الضغوط لتجميد اتفاقية الشراكة الإسرائيلية الأوروبية.

ولا يقلّ الفشل الأخلاقي والمعنوي لحكام إسرائيل خطورة، إذ يواجهون اليوم تصاعداً في حركة المقاطعة وسحب الاستثمارات وفرض العقوبات (BDS)، وولادة حركة عالمية لمناهضة الأبارتهايد الإسرائيلي تشبه حركة مناهضة الأبارتهايد ضد نظام الفصل العنصري في جنوب أفريقيا، وتعاظم الثورة الشبابية العالمية ضد الاحتلال والعدوان والسياسات الإسرائيلية، بما في ذلك داخل الجامعات الأميركية نفسها، وبصورة لم يسبق لها مثيل منذ حركة مناهضة الحرب على فيتنام، ويشمل ذلك تمرّد عدد كبير من الشباب اليهود على الحركة الصهيونية وانخراطهم في نشاطات التضامن مع الشعب الفلسطيني.

وتوج ذلك الفشل بقرار الأمم المتحدة وضع الجيش الإسرائيلي في القائمة السوداء لمرتكبي الجرائم ضد الأطفال إلى جانب تنظيمي الدولة الإسلامية (داعش) والقاعدة. و للمفارقة، بذل نتنياهو جهداً فاشلاً منذ بداية العدوان لإلصاق تهمة الداعشية بحركة حماس، ليجد اليوم جيشه مصنفاً في القائمة السوداء إلى جانب «داعش». وساهم في ذلك كله نجاح الشباب الفلسطيني، والعربي، والعالمي، في اختراق الإعلام العالمي عبر وسائل التواصل الاجتماعي، ونقل صورة الجرائم التي ترتكبها إسرائيل.

غير أن الفشل الأكبر الذي يواجهة نتنياهو ومنظومة إسرائيل الحاكمة، بحكومتها ومعارضيها، عجزهم عن تنفيذ مخطّطهم الرئيسي الذي كانوا يتفاخرون باقتراب تحقّقه قبل «7 أكتوبر»، وهو تصفية القضية الفلسطينية بكل مكوناتها، وتمرير التطبيع مع المحيط العربي على حسابها، وبدلاً من أن تهمّش قضية فلسطين، كما خطط نتيناهو، عادت لتتصدّر المشهد العالمي بأسره. وبعد أن عجزت إسرائيل، رغم منعها الصحافة الأجنبيه من الوصول إلى قطاع غزّة واغتيال جيشها 145 صحافياً فلسطينياً، عن منع صور الجرائم الوحشية المرتكبة ضد أطفال فلسطين ونسائها من الوصول إلى العالم.

> يتجلى فشل إسرائيل الاستراتيجي بصورة أكبر في تهاوي مشاريع اليوم التالي لإدارة قطاع غزّة، بما في ذلك تمزّق أوهام إمكانية إنشاء منظومة عميلة

ويتعمّق الفشل الاستراتيجي الإسرائيلي بعجز الحكومة الإسرائيلية عن ايجاد حلول للتحدّيات التي يمثلها حزب الله والجبهة الشمالية، والعراق، والتدخل اليمني الذي سبّب أرقاً للاقتصاد العالمي بأسره، وبالإضافة إلى التحدّي الإيراني. ولعل أبرز مظاهر الفشل الاستراتيجي تحوّل إسرائيل من حليف أساسي لحماية المصالح والسياسات الأميركية في المنطقة، وقوة تدخل عسكري قادرة على التصدّي لكل نظام يزعج الإدارة الأميركية والمنظومة الاستعمارية الغربية، كما جرى في العدوان الثلاثي ضد مصر عام 1956، وفي عدوان حزيران عام 1967، إلى عبء استراتيجي اضطرّ الولايات المتحدة إلى إرسال جنرالاتها وأساطيلها وآلافٍ من جنودها، وتنظيم أضخم جسر جوي في تاريخ المنطقة، لحماية إسرائيل من فشلها في 7 أكتوبر وما تلاه، بالإضافة إلى إرسال الطائرات البريطانية والأسلحة الألمانية وغيرها. ويتجلى الفشل الاستراتيجي اليوم بصورة أكبر في تهاوي مشاريع اليوم التالي لإدارة قطاع غزّة، بما في ذلك تمزّق أوهام إمكانية إنشاء منظومة عميلة تخدم استمرارالاحتلال الإسرائيلي للقطاع. ويؤدي ذلك إلى تفتت داخلي إسرائيلي غير مسبوق، وتمزّق في نسيج العقد الاجتماعي بين الجمهور الإسرائيلي والمنظومة الحاكمة، بالإضافة إلى خطورة تعاظم الاتجاهات الفاشية التي يمثلها المستوطنون الإسرائيليون، ونمو تيار التعصب الديني الأصولي اليهودي ذي النزعة الفاشية.

لم تنجز اسرائيل بعد ثمانية أشهر من العدوان سوى القتل والإجرام اللذين أوديا بحياة ما لا يقل عن 46 ألف فلسطيني منهم حوالي 16 ألف طفل، وإصابة 84 ألفاً معظمهم من المدنيين. وسيسجل التاريخ أن كل ذلك الفشل الإسرائيلي لم يكن ليحدُث لولا صمود الشعب الفلسطيني وبسالته وبطولته ومقاومته، وهو العصيّ على الكسر، والمتمسّك، مهما كان الثمن، بوطنه وحقه في الحرية والكرامة.

(أمين عام المبادرة الوطنية الفلسطينية)

عن انتكاسة الحزب الحاكم في الانتخابات الهندية

عمر كوش

فاز التحالف الذي يقوده حزب بهاراتيا جاناتا، بزعامة رئيس الوزراء ناريندرا مودي، بالانتخابات الهندية العامة. ولكن، يمكن القول إنّه فوز بطعم الهزيمة، لأنّ هذا الحزب الحاكم فشل في المحافظة على أغلبيته البرلمانية، وفق النتائج الرسمية التي أعلنتها مفوضية الانتخابات الهندية، فحصل على 240 مقعداً من أصل إجمالي مقاعد البرلمان الهندي البالغ 543 مقعداً، بينما سبق له أن حصل على 303 مقاعد في الانتخابات السابقة، قبل خمس سنوات. ومن ثم، سيضطر إلى الاعتماد على أحزاب وقوى أخرى داخل التحالف الوطني الديمقراطي، الذي يقوده، لتشكيل حكومة ائتلافية في المرحلة المُقبلة. في المقابل، حقّق تحالف المعارضة بقيادة حزب المؤتمر الوطني تقدّماً واضحاً بحصوله على 99 مقعداً في البرلمان.

جاءت نتائج الانتخابات لتشكّل انتكاسة صادمة لحزب بهاراتيا جاناتا الحاكم، بعد أن توقّعت استطلاعات الرأي قبلها فوزاً ساحقاً للتحالف الذي يقوده في الانتخابات العامة الماراثونية.

رغم خسارة حزبه الأغلبية البرلمانية، إلّا أنّ مودي مُصمّم على الاستمرار في منصب رئاسة وزراء الهند، مع أنّ الأمر مرهون بالتحالف الذي يقوده، المُكوّن من حلفاء مُتعدّدين، ولاء بعضهم متذبذب، فقد يطالب بعضهم باختيار زعيم جديد للتحالف في حال فشل مودي في الحصول على الدعم الكافي لتجديد ولايته رئيساً للوزراء. إضافة إلى أنّ وجود تكهّنات بحصول انشقاقات بين أعضاء التحالف الحاكم، وانضمامهم إلى صفوف المعارضة، غير أنّ مودي مسرور بفوز التحالف الذي يقوده «بهاراتيا جاناتا» للمرّة الثالثة على التوالي في الانتخابات الهندية، واعتبره فوزاً تاريخياً، يعبّر عن «تأييد الشعب الهندي للمرّة الثالثة»، رغم خسارته الأغلبية البرلمانية المطلقة للمرّة الأولى منذ عشر سنوات، ومن الخيبة التي مني بها، إذ كان يراهن بالحصول على أربعمائة مقعد في البرلمان. وارتاح في حملته الانتخابية إلى الآراء والأطروحات الهندوسية المُتشدّدة، التي بالغ في الاعتماد عليها، بالإضافة إلى رهانه على قدراته الشخصية التي لم تعد جاذبة للناخبين الذين يعانون أوضاعاً معيشية صعبة، في بلد يشهد زيادةً في عدم المساواة واتساعاً في الفجوة ما بين الأغنياء والفقراء، الأمر الذي قلّل من حجم شعبيته التي ارتبطت سابقاً بقدرته الشعبوية على الاستعراض والتسويق والمشاهد المُثيرة، فالشباب الهندي الذي تضرب نسبةُ بطالةٍ عاليةٍ صفوفَه، لم يعد تغريه إثارات مودي وخطابه التحريضي ضدّ المسلمين في الهند، الذين يُقدّرون بأكثر من مائتي مليون شخص، فقد أظهرت نتائج الانتخابات أنّ تكثيف مودي الخطاب الذي يُعزّز الانقسام الديني الرئيس في الهند، لم يسعفه في محاولته حشد الغالبية الهندوسية للتصويت لمصلحة حزبه.

يُحسب لأحزاب المعارضة الهندية وقواها أنّها شكّلت ائتلافاً واسعاً، تجسّد في التحالف الوطني الهندي التنموي الشامل، يقوده حزب المؤتمر الوطني، بوصفه حزب المعارضة الرئيس، وأقدم حزب سياسي في البلاد، إذ يعود تاريخه إلى عام 1885، عندما حكم البريطانيون الهند. والأكثر أهمّية أنّ هذا التحالف المعارض ركّز على القضايا الجوهرية ضدّ الحزب الحاكم، خصوصاً قضايا البطالة وارتفاع تكاليف المعيشة، وعدم المساواة في توزيع الدخل. إضافة إلى أنّ بعض حلفاء حزب بهاراتيا جاناتا لا يشاركون قادته آراءهم الهندوسية المُتشدّدة، التي مثّلت جوهر أجندة الحزب الانتخابية. لذلك، سيجد قادة الحزب أنفسهم مضطرّين إلى تخفيف حدّة خطابهم الكاره للأقليات، والتخلّي عن طموحاتهم الهادفة إلى تحويل الهند دولةً هندوسيةً، وبما يتعارض مع

> الشباب الهندي الذي تضرب نسبةُ بطالةٍ عاليةٍ صفوفَه لم يعد تغريه إثارات مودي وخطابه التحريضي ضدّ المسلمين

علمانية الدولة، التي ينصّ عليها الدستور الهندي، ويُقرّ بأنّها دولة مُتعدّدة الثقافات والأعراق، وبما يتنافى مع دعوات اليمين القومي الهندوسي بإعلانها أمّة هندوسية، ومحاولته ترسيخ هيمنة الهندوسية في القانون.

في المستوى الدولي، سيكون لنتائج الانتخابات آثرها وإرهاصاتها، بالنظر إلى أنّ الانتكاسة الانتخابية قد تدفع الحكومة الجديدة إلى اتخاذ إجراءات إنفاق شعبوية إلى استعادة التأييد الذي فقده الحزب الحاكم، ما يُعرّض خططها الاقتصادية للخطر، إذ تعتبر الهند شريكاً اقتصادياً وتجارياً أساسياً لدول عديدة، كالولايات المتّحدة وبريطانيا وفرنسا، التي تسعى إلى تعزيز علاقاتها وشراكتها الاقتصادية والتجارية مع الهند لمواجهة تنامي النفوذ الصيني. كما أنّ الاقتصاد الهندي أحدُ أسرع الاقتصادات نمواً في العالم، ويزيد مُعدّل نمو الهند الاقتصادي عن 8%. وقد انعكست نتيجة الانتخابات العامة على المُستثمِرين الأجانب، فأفضت إلى انخفاض حادّ في الأسهم فور إعلان نتائجها.

تكشف الانتكاسة الصادمة للحزب الحاكم، وزعيمه، أنّهما لم يُقدّما أيَّ برنامج مُقنع للناخبين الهنود، الذين يتركّز همّهم في أمورهم المعيشية، فضلاً عن أنّهما لم يُقدّما للنسيج الاجتماعي المُعقّد في الهند ما يمكن أن يسهم في تسوية الخلافات، ومحو التناقضات في الهُويّة والمُعتقدات. ولعلّ مودي يعي تماماً أنّ الزعيم الهندي التاريخي مهاتما غاندي (1948) كان هندوسياً مُتديّناً، لكنّه أصرّ على أهمّية أن «يتمتّع كلّ إنسان في الهند بالمساواة في المركز بغض النظر عن ديانته»، وشدّد على أن تكون الدولة «علمانية بالكامل».

(كاتب سوري في إسطنبول)

«المتعاونون»... عن «الحركيين» السودانيين

مدى الفاتح

كان الكاتب السوداني محمد عثمان إبراهيم قد سبق غيره في تحذير «المتعاونين» في بلاده مع المليشيا التي تخوض حرباً ضد المواطنين السودانيين، من مواجهة المصير، الذي واجهه «الحركيون» في الجزائر. أعجبني هذا التشبيه، فالحركيون الجزائريون، الذين ارتضوا أن يكونوا جزءاً من منظومة الاحتلال الفرنسي، كانوا يظنّون أنهم بذلك يراهنون على الأقوى، ولم يخطر ببالهم أن تنجح المقاومة الجزائرية في إجبار الغزاة على الانسحاب من بلادهم. لم يختلف مصير «الحركيين» الجزائريين عن مصير الذين تعاونوا مع المحتل بيادق ومُخبرين على مر العصور، فلا التاريخ رحمهم ولا الدول التي عملوا تحت خدمتها، احترمتهم. انتهى الأمر بهم للعودة إلى فرنسا والعيش في معسكرات غير إنسانية وظروف غير لائقة، مع رفض الفرنسيين إدماجهم بشكلٍ يحفظ لهم كرامتهم. يعيد هذا إلى الأذهان صورة قريبة للمتعاونين الأفغان مع الأميركيين، أولئك الذين تركوا لمصيرهم، ما دفع مئات منهم إلى التعلق بجناجي (وبدن) الطائرة الأميركية المغادرة في ما يشبه الانتحار.

هناك سؤال مطروح قبل مناقشة مصير «المتعاونين» السودانيين: ما الذي جعل مواطناً سودانياً ينحاز لمليشيا أوغلت في القتل وسرقة الممتلكات والاغتصاب؟ علماً أن هذه التهم التي يحاول المتعاطفون مع المجرمين والمتواطئين معهم غضّ الطرف، أو التقليل منها، ليست مجرّد اتهامات، وإنما جرائم شهدت عليها دول كثيرة ومنظمّات حقوقية دولية وآلاف المواطنين، الذين لا يمكن تجاهل شهاداتهم كلها. أكثر من ذلك، كانت الميليشيا نفسها، للمفارقة، تقوم بتصوير (وتوثيق) جرائمها من قتل واقتحام لمنازل المدنيين، بل حتى الاغتصاب. كان ذلك كثيراً في بداية أيام العدوان، قبل تنبيه الأفراد، ربما بواسطة الممولين، لضرورة التوقف عن هذا، لأن مثل هذه الفيديوهات خطرة وقد تشكل دليل إدانة دامغة.

السبب الأول الذي كان يدفع إلى ما يسمّى «التعاون»، كان يتعلق بالرغبة في الفوز بالمال السهل، حيث كان المقرّبون من محمد حمدان دقلو (حميدتي)، حتى في فترة ما قبل اندلاع الحرب، يعرّفون أنهم من المحظوظين مادياً، سواء كانوا من العسكريين، الذين كانت امتيازاتهم أعلى من نظرائهم «النظاميين»، أو كانوا من المدنيين. تدفق المال أكثر في مرحلة ما بعد الحرب، فكسبت المليشيا ولاء كثيرين مستخدمة بعضهم لتحسين صورتها وإطلاق حرب إعلامية ضد من يحاربها، فيما استفادت من آخرين، مقاتلين أو مرشدين إلى بيوت القادة أو إلى البيوت التي يمكن أن يُستفاد من اقتحامها للحصول على أموال أو سيارات.

السبب الآخر ما جاء أعلاه، أن بعضهم ظن أن إعلان الولاء لحميدتي هو رهان على الطرف الأقوى، الذي يحظى بالمال والسلاح الكافي، والذي يتوزع جنوده في كل المناطق الإستراتيجية. تعمّق هذا الرهان حينما اتضح أن الأمر لا يتعلق بصراع محلي، بقدر ما أنه مشروع تشارك فيه دول جوار وقوى ذات تأثير. أكّد ذلك للمتعاونين والمتعاطفين أنهم منحازون لطرف يحظى بدعم «المجتمع الدولي»، الذي ظل يساعد على الإفلات من العقاب عبر منح المجرم شرعية والإصرار على مساواته بالجيش، الذي «يجب» عليه، وفق منطق أصحاب المصلحة الدوليين، أن يتفاوض، وأن يقتسم السلطة مع المتسبّب في مأساة ملايين السودانيين. بجانب هذا، هناك أسباب تأتي في مرتبة أقل تتعلق بأن بعض هذه العناصر مجبرة على التعاون لخضوعها للابتزاز. بعد أن

> بقاء المجموعة الفوضوية والعنصرية جزءاً من تركيبة السلطة المستقبلية في السودان الضمانة الوحيدة لسلامة «المتعاونين»

حُسم الأمر لصالح الوطنيين الجزائريين كان «الحركيون» في وضع لا يُحسدون عليه، حيث كان بقاؤهم في البلاد يمثل تهديداً لحياتهم. واليوم يخشى المتعاونون السودانيون على مستقبلهم في حالة انهيار المليشيا وانسحاب مرتزقتها، الذين جاء الآلاف منهم من خارج الحدود. الحسابات الأولية كانت مبنية على تجارب السماح والغفران السابقة، التي كان يتم فيها التجاوز عن جرائم المعارضين المسلحين، بل والعمل على إعادة إدماجهم في البنية السياسية والعسكرية للدولة. حدث هذا مع أكثر من فصيل، لكن ما فات على أصحاب هذه الحسابات أن ما حدث هذه المرّة مختلف، وهو أكبر من طاقة السوداني الطيب للغفران. ما يتضح حالياً أنه، وحتى ولو جرى الوصول إلى اتفاق تلتزم به الحكومة يضمن سلامة المقاتلين والمتعاونين، إلا أنه سيكون من الصعب إقناع المواطنين العاديين، الذين فقدوا مدّخراتهم أو جرى الاعتداء على أعراضهم بواسطة أولئك المحاربين، بقبول هذه العناصر المريضة ضمن النسيج الاجتماعي الذي انتهكوه. يمكن أن تفسّر هذه النقطة إصرار المراهنين على المليشيا على التفاوض المفضي إلى إعادة الشرعية لها، كما أنها تفسّر قول بعضهم إنه لا يتمنّى أن ينتصر الجيش بشكل ساحق، حتى لا يفرض شروطه على الجميع. في الحقيقة، بقاء هذه المجموعة الفوضوية والعنصرية جزءاً من تركيبة السلطة المستقبلية في السودان هو الضمانة الوحيدة لسلامة «المتعاونين».

(كاتب سوداني في لندن)

العربي الجديد
www.alaraby.co.uk
تصدر عن شركة فضاءات ميديا ليميتد (Fadaat Media Ltd)

رئيس التحرير معن البياري ■ مدير التحرير ارنست خوري ■ المدير الفني إميل منعم ■ السياسة جمانة فرحات ■ الاقتصاد مصطفى عبد السلام ■ الثقافة نجوان درويش ■ منوعات ليال حداد ■ المجتمع يوسف حاج علي ■ الرياضة نبيل التليلي ■ تحقيقات محمد عزام ■ مراسلون نزار قنديل

المكاتب
■ المكتب الرئيسي، لندن
Ealing Cross, Second floor, 85 Uxbridge Road, London, W5 5TH
Tel: 00442045801000
■ مكتب الدوحة
الدوحة ـ برج الفردان ـ لوسيل ـ الطابق الـ 20 ـ
هاتف: 0097440190600
■ مكتب بيروت
بيروت ـ الجميزة ـ شارع باستور ـ بناية west end 33
هاتف: 009611567794 - 009611442047
■ البريد الإلكتروني: Email: info@alaraby.co.uk
■ للاشتراكات: alaraby.co.uk/subscriptions
هاتف: 97440190635+ جوال: 97450059977+
■ للإعلانات: alaraby.co.uk/ads